

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[158] رحمة الله ويلقي بنفسه في وادي غضبه. ثم يقول ذلك المؤمن المجاهد للتأكيد والتوضيح أكثر: إنني حين أعبد هذه الأصنام وأجعلها شريكاً في إنني سأكون في ضلال بعيد: (إنني إذاً لفي ضلال مبين) فأني ضلال أوضح من أن يجعل الإنسان العاقل تلك الموجودات الجامدة جنباً إلى جنب خالق السموات والأرض!! وعندما انتهى هذا المؤمن المجاهد المبارز من إستعراض تلك الإستدلالات والتبليغات المؤثرة أعلن لجميع الحاضرين (إنني آمنت بربكم فاسمعون). أمّا من هو المخاطب في هذه الجملة (فاسمعون) والجملة السابقة لها (إنني آمنت بربكم)؟ طاهر الآيات السابقة يشير إلى أنّهم تلك المجموعة من المشركين وعبداء الأوثان الذي كانوا في تلك المدينة، والتعبير بـ "ربكم" لا ينافي هذا المعنى أيضاً، إذ أن هذا التعبير ورد في الكثير من آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الكفار حينما تستعرض الإستدلالات التوحيدية (1). وجملة "فاسمعون" لا تنافي ما قلنا، لأن هذه الجملة كانت دعوة لهم لاتّباع قوله، بالضبط كما ورد في قصّة مؤمن آل فرعون حيث قال: (يا قوم اتّبعون أهدكم سبيل الرشاد) غافر - 38. ومن هنا يتّضح أن ما ذهب إليه بعض المفسّرين من أن المخاطب في هذه الجملة هم أولئك الرسل، والتعبير بـ "ربكم" وجملة "فاسمعون" قرينة على ذلك - لا يقوم عليه دليل سليم. لكن لننظر ماذا كان رد فعل هؤلاء القوم إزاء ذلك المؤمن الطاهر؟ القرآن لا يصرّح بشيء حول ذلك، ولكن يستفاد من طريقة الآيات التالية بأنهم ثاروا عليه وقتلوه. _____ 1 - راجع الآيات 3 و 32 يونس - 3 و 52 هود - 24 النمل 29 - الكهف وغيرها.